باب آداب المحتسب درجات الاحتساب فلنذكر ادابها
قد ذكرنا تفاصيل الآداب في آحاد الدرجات ونذكر الآن جملها ومصادرها فنقول
جميع آداب المحتسب مصدرها ثلث صفات في المحتسب العلم والورع وحسن الخلق
اما العلم فليعلم مواقع الحسبة وحدودها ومجاريها وموانعها ليقتصر على حد الشرع
فيه والورع ليردعه عن مخالفة معلومه فلا كل من علم عمل بعلمه بل ربما يعلم انه مسرف
في الحسبة وزائد على الحد المأذون شرعا ولكن يحمله عليه غرض من الاغراض وليكن كلامه
ووعظه مقبولا فان الفاسق يهزأ به اذا احتسب ويورث ذلك جرأة واما حسن
الخلق فليتمكن من اللطف والرفق وهو اصل الباب واساسه والعلم والورع لا يكفي
فيه فان الغضب اذا هاج لم يكف مجرد العلم والورع في قمعه ما لم يكن في الطبع قبول له
بحسن الخلق وعلى التحقيق فلا يتم الورع الا مع حسن الخلق والقدرة على ضبط الشهوة والغضب
وبه يصبر المحتسب على ما اصابه في دين الله تعالى واشتغل بنفسه بل ربما تقدم عليه ابتداء
والا فاذا اصيب عرضه او نفسه بشتم او ضرب نسي الحسبة وغفل عن دين الله تعالى صح
لطلب الجاه والاسم فهذه الصفات الثلاثة بها تصير الحسبة من القربات وبها تندفع
المنكرات وان فقدت لم يندفع المنكر وربما كانت الحسبة ايضا منكرة لمجاوزة حد الشرع
فيها ودل على هذه الآداب قوله صلى الله عليه وسلم لا يامر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر الا رفيق
فيما يامر به رفيق فيما ينهى عنه حليم فيما يامر به حليم فيما ينهى عنه فقيه فيما يامر به فقيه
فيما ينهى عنه وهذا يدل على انه لا يشترط ان يكون فقيها مطلقا بل فيما يامر به وينهى عنه وكذا الحلم
وقال الحسن البصري اذا كنت ممن يامر بالمعروف فكن من آخذ الناس به والا هلكت وقد قيل
لا تلم المرء على فعله وانت منسوب الى مثله من ذم شيئا واتى مثله فانما يزري على عقله
ولسنا نعني بهذا ان الامر بالمعروف يصير ممنوعا بالفسق ولكن يسقط اثره عن القلوب
بظهوره للناس وقد روي عن انس قال قلنا يا رسول الله الا نامر بالمعروف حتى نعمل به
كله ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل مروا بالمعروف
وان لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر وان لم تجتنبوه كله واوصى بعض السلف بنيه فقال
ان اراد احدكم ان يامر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر وليثق بالثواب من الله عز وجل فمن وثق
بالثواب فلا يجد مس الاذى فاذن من آداب الحسبة توطين النفس على الصبر ولذلك قرن الله تعالى
الصبر بالامر بالمعروف فقال حاكيا عن لقمان يا بني اقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر

على

على ما اصابك ومن الآداب تقليل العلائق حتى لا يكثر خوفه وقطع الطمع عن الخلائق
حتى تزول عنه المداهنة فقد روي عن بعض المشايخ انه كان له سنور وكان ياخذ من قصاب
في جواره كل يوم شيئا من الغدد لسنوره فراى على القصاب منكرا فدخل الدار اولا واخرج
السنور ثم جاء واحتسب على القصاب فقال له القصاب لا اعطيك بعد هذا شيئا
لسنورك فقال ما احتسبت عليك الا بعد اخراج السنور وقطع الطمع منك وهو كما
قال فان من لم يقطع الطمع من الخلق لا يقدر على الحسبة ومن طمع في ان تكون قلوب الناس عليه
طيبة والسنتهم بالثناء عليه منطلقة لم تتيسر له الحسبة قال كعب لابي مسلم الخولاني
كيف منزلتك بين قومك قال حسنة قال ان التوراة تقول ان الرجل اذا امر بالمعروف
ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه فقال ابو مسلم صدقت التوراة وكذب ابو مسلم
ويدل على وجوب الرفق ما استدل به المأمون اذ وعظه واعظ وعنف له في القول
فقال يا رجل ارفق فقد بعث الله من هو خير منك الى من هو شر مني وامره بالرفق
فقال فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى فليكن اقتداء المحتسب في الرفق بالانبياء
عليهم السلام فقد روي ابو امامة ان غلاما شابا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا نبي الله اتاذن لي في الزنا فصاح الناس به فقال النبي صلى الله عليه وسلم اقروه ادن
فدنا حتى جلس بين يديه فقال عليه السلام اتحبه لامك قال لا جعلني الله فداك
قال كذلك الناس لا يحبونه لامهاتهم اتحبه لاختك وزاد ابن عوف انه ذكر العمة والخالة
وهو يقول في كل ذلك لا جعلني الله فداك وهو صلى الله عليه وسلم يقول له كذلك الناس لا يحبونه
وقالا جميعا في حديثهما اعني ابن عوف والراوي الآخر فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يده على صدره وقال اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه فلم يكن شيء ابغض اليه
منه يعني الزنا وقيل للفضيل بن عياض ان سفيان بن عيينة قبل جوائز السلطان
فقال الفضيل ما اخذ منهم الا دون حقه ثم خلا به وعذله ووبخه فقال سفيان
يا ابا علي ان لم نكن من الصالحين فانا لنحب الصالحين وقال حماد بن سلمة ان صلة بن اشيم
مر عليه رجل قد اسبل ازاره فهم اصحابه ان ياخذوه بشدة فقال دعوني
انا اكفيكم فقال يا ابن اخي ان لي اليك حاجة قال وما حاجتك يا عم قال احب
ان ترفع من ازارك قال نعم وكرامة فرفع ازاره فقال لاصحابه لو اخذتموه بشدة

Copyright © King Saud University